لا أريد أن يكون فى بلادى رجل واحد
يجهل القراءة والكتابة .
فاروق

تاج من النور

للكاتبة الاجتماعية زينب محمد حسين

هكذا صاح بقوة ملكا المحبوب فاروق الأول ، صيحة اندفعت من قلبه الرحيم ، وترجمها لسانه الطاهر الكريم ؛ يوم أن تقدم إلى جلالته مشروع محو الأمية .

فيا له من ملك كريم ، ويا لنا من شعب سعيد جهد السعادة إذ قيض الله لنا ملكا تغبطنا عليه أمم العالم أجمع ، ملكا من الشعب يرعى شعبه ويفهم ألمه ويحس داءه ويسعى لمداواته ، إنه والله مؤمن ، انه والله أدى واجبه ، إنه والله مخلص ، إنه عامل ، إنه مصلح ، إنه ملك ، والله لست أدرى كيف اجتمع كل هذا فى واحد ، أجل لقد اجتمعت كل هذه الصفات فى واحد هو الفاروق حفظه الله لشعبه ، ونصر شعبه به ، وأعز تاجه وكلل به هامة لزمن ، فهو تاج من الفخر ، تاج من النور .

فما لا شك فيه أن مشروع محو الأمية مشروع جليل الشأن كبير الأثر ، فالأمم لا تكون إلا بمقدار محصولها من العلم والمعرفة ، وقد سئل يوما " بسمارك " عن السر فى عظمة شعبه فأجاب : إن ذلك إنما يرجع إلى انخفاض نسبة الأمية فيه .

ويقول تعالى : " قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون " ، سبحان ربى جلت قدرته ، فقد فرق بين العالم والجاهل . فالأمة المتعلمة هى التى تتقدم الصفوف ، أما الجاهلة فمكانها ولا شك المؤخرة ، فإذا رضى أحدنا بالسكوت على هذا الجهل الفاشى فى بلادنا فانتى أعتبره من المقصرين الذين لا يستحقون شرف الانتساب لوطنهم العزيز .

ولقد فكر الحكام فى هذه السبة من سنة ١٩١٧ عند ما كان المغفور له عدلى يكن باشا وزيرا للمعارف العمومية إذ بحث مشروع محو الأمية وألف لجنة لهذا الغرض ، وانتهت اللجنة إلى انشاء التعليم الالزامى فأنشئ فى سنة ١٩٢٥ وصدر قانونه سنة ١٩٢٣ وأعلنت لائحته سنة ١٩٤٠ ، وكان الغرض من مشروع التعليم الالزامى هو محو الأمية .

والحق يقال إن المشروع نجح نجاحا وان كان محدودا إلا أنه أثبت حقائق كان لا يمكن إدراكها أو لمسها إلا بعد التجربة ، وهذه الحقيقة هى أن التعليم بغير ارتفاع مستوى المعيشة لا يؤتى ثماره المرجوة ، فقد ظهر أن أولاد الفلاحين وهم غالبية من يقصد بهم التعليم الالزامى يهربون من المدرسة لا للعبث واللعب بل لمساعدة ذويهم فى أعمالهم و لاستعاضة بأيديهم عن الأيدى العاملة التى لا يستطيعون دفع كرائها ، كما ثبت أيضا أن الفلاح الذى يصيب مستوى معتدلا من المعيشة سرعان ما يرسل أولاده إلى المدرسة ليتعلموا بلا حاجة إلى الترهيب أو الترغيب . ومن هذا يتضح لنا كيف أن مستوى المعيشة هو الحائل دون محو الأمية . ومن هنا نتبين لنا أيضا حقيقة هى للأسف جوهر البحث ولب الموضوع ، وهى أن الفقر والجهل والمرض أقانيم ثلاثة لا يمكن أن نفترق . فإذا رمنا القضاء على أحدها فإنما يجب أن نقضى على ثلاثتهم جميعا ، لا ترك واحدة أو اثنتين تمرح و ترتع كيفما شاء . فإذا عملنا على رفع مستوى المعيشة واستطعنا أن نرفع المستوى الصحى للأفراد ، لرأينا الريفيين يتكالبون على المدارس كما يتكالب عليها سكان المدينة من ذوى الدخل المتوسط .

فليس بيننا مكابر يستطيع أن يقول إن الريف لا يفهم التعليم وفائدته ، فان أغلبنا نحن الريفيين المتمدينين الحدر من آباء أو أجداد أميين يجهلون القراءة والكتابة ، ومع ذلك كانت الدنيا لا تسع فرحتهم عند ما يقبل أبناؤهم أو بناتهم على " فك " عنوان الجريدة .

إذن ، فمحو الأمية رغبة تجيش فى صدر كل مصرى سواء أكان ريفيا أو متحضرا ، ولا يقعد بهذه الرغبة غير انخفاض مستوى المعيشة .

ولست أدرى كيف يمكن تطبيق مشروع محو الأمية على الفلاحين فى مثل هذه الظروف العصيبة التى نعلم فيها عن الفلاحين ما لا يصح أن يعلن على هذه الصفحات ! ! كيف يمكن تطبيق هذا المشروع فى الوقت الذى يئن فيه الفلاح من الجوع والمرض ، ثم نفرض عليه بعد ذلك عقوبة ظالمة اذا هو امتنع أو تخلف ؟ !

إنه لظلم ، وأى ظلم ، نرجو أن تنأى عنه حكومتنا الرشيدة وأن تعمل على رفعه عن كواهل أبناء هذا الوطن ، فتعيد النظر فى مشروع القانون مستهدية بالحقائق ، مسترشدة بالواقع .

وكم يكون الردع والزجر عدلا إذا ارتفع مستوى المعيشة وامتنع أحد الأفراد عن إدخال ابنه المدرسة . إن من العسير أن نطلب من الكبار أن يتعلموا والحالة هذه ، فنحن بذلك نخرجهم عن محيطهم الضيق الذى يعيشون فيه الآن بقناعة .

ارفعوا أولا مستوى المعيشة ، ثم عدّلوا برامج التعليم الإلزامى بما يحقق الاستفادة منه ، ويحقق الغرض من إنشائه أى القضاء على الجهالة ومحو الأمية ، حينئذ تجدوا مصر وقد أخرجت جيلا جديدا سرعان ما يستعيد مجد بلاده التالد ويتقدم الصفوف بخطى سريعة صائحا بأعلى صوته : " نحن الأمة المجيدة العريقة ، نحن أول من اخترع الكتابة أيام الفراعنة ويشهد بذلك الخط المسمارى القديم " .

إن ملكنا يعمل دائما أبدا على تنشيط الأداة الحكومية لكى تعمل على رفع مستوى الشعب وتوفير حاجياته ، وجلالته فى هذا السبيل لا يدخر وسعا أو جهدا فهو حينما يقول :

" لا أريد أن يكون فى بلادى رجل واحد يجهل القراءة والكتابة " .

إنما يقول : " أريد أن أرفع من مستوى معيشة شعبى العزيز . لأننى أريد ألا يكون فى بلادى رجل واحد يجهل القراءة والكتابة " .

ولطالما عمل " الفاروق " على رفع مستوى هذا الشعب الكريم وأنفق أكثر أوقاته مضحيا براحته فى سبيل رفعة شعبه والأخذ بناصره . حقق الله له آماله فى شعبه ، وحقق آمال شعبه فيه .

* * *

هذه كلمة صريحة أكتبها كمصرية لها رسالة أخذتها على عاتقها نحو ملكها ووطنها تعليقا على مشروع محو الأمية ، والله أسأل أن يوفقنا إلى ما فيه خير أمتنا فى ظل مليكنا المحبوب فاروق الأول حفظه الله ورعاه ، آمين

زينب محمد حسين